جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص: أدب حديث ومعاصر

رقم: ح/17

إعداد الطالب:

غيابة الجيلاني

السّجن في رواية "يسمعون حسيسها" لأيمن العُتوم

يوم: 2023/06/15

لجنة المناقشة:

د-رحيم عبد القادر	أ. محاضر أ	جامعة بسكرة	رئيسا
د-سعاد طويل	أ. محاضر أ	جامعة بسكرة	مشرفًا ومقررًا
د-مشقوق هنية	أ. محاضر أ	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2022 – 2023

يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ

مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ

ٱلْقَهَّارُ

سورة يوسف /الآية 39

الإهـــداء :

أهـــدي ثمــرة جـــهدي المتواضـــــــــــع

إلــى الوالـــــــدين الـــكـــريمـــــــــــين

إلـــى الإخوة وأفراد العائلة كبـــاراً وصغـــاراً

إلـــى جميـــع الأصدقاء والزُّمـــــــــــلاء

إلى كُلِّ من دعمني ذات يوم ولـــــــو بابتسامة

شكـــــر
و عـرفــا ن

أتقدم بأسمى آي الشّكر والعرفان

إلى من كان سندا لي طيلة حياتي خاصة في مشواري الدّراسي.

كما أتقدم بجزيل الشّكر والعرفان إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة **"سعاد طويل"**.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدّم بجزيل الشكر والعرفان إلى كلّ من أساتذتي الأفاضل الذين تتلمذت على أيديهم؛ كل باسمه ومقامه.

مقدمة

تعد الرّواية جنسا نثريا حديث النشأة، وهي مرآة عاكسة للواقع ومستجداته، كما أنها السبيل الأنجع للتماشي مع التّحول الفكري والأدبي للإنسان كونها جنساً أدبياً مرنا دائم التّجديد والتّطور. كما تمتلك مقدرة في التّأثير على المتلقي وعدت بذلك أكثر الأجناس الأدبية قراءة ومقاربة .

ظاهرة السّجن والاعتقالات في العقد الأخير من هذا العصر ظاهرة تكاد تكون شائعة، خاصة تلك الاضطرابات السياسية والنزعات القومية التي طفت على السطح مع رياح الثورات العربية التي نراها تنتقل من بلد عربي لآخر وكأنها عدوة مرضية، هذا ما أدى إلى ظهور الكتابات التي تحاكي الواقع المعيش وراء قضبان الحديد بصورة أكثر مما كانت عليه، داخل الزنزانة والمعتقلات السياسية، فالفرد المثقف هو بالدرجة الأولى المعرض إلى أبشع الاعتقالات والتعذيبات، ذلك لما يستطيع به توجيه الرأي العام ضدّ السلطة والحكم.

من أجل ذلك ارتأينا أن ندرس الرواية من حيث فضائها السّردي وتسليط الضوء على حضور السجن في النّص الروائي، فالرواية بكل تقنياتها وعناصر تكوينها تعتبر فضاء رحباً يُمكّن المبدع من التّعبير عن ذاته واستقراء مجتمعه، وتصوير الحياة وهموم الإنسان، ومناقشة القضايا التي تحرك فيه روح الكتابة، بخاصة قضايا السجن والتعنييف السياسي، لتأخذ هذه الظاهرة نتيجة لذلك نصيبا وحظا وافرا من العناية الخاصة من قبل الكثير من النقاد والباحثين في ميدان الرواية والأدب.

وعلى أساس هذا؛ وقع اختيارنا على الروائي العربي **"أيمن العتوم"** متخذين من روايته **"يسمعون حسيسها"** أنموذجا روائيا للعمل البحثي.

-لنجد أنفسنا أمام أسئلة مفادها:

- كيف كان أثر توظيف السّجن في رواية **"يسمعون حسيسها"** لأيمن العتوم ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعنا الخطة التالية:

مدخل وفصلين، ثم خاتمة لأبرز ما جاء في هذه الدراسة.

عنونا المدخل **بـ"السجن في الرواية العربية"**، حيث تمّ فيه التطرق لمصطلح السّجن وأدب السّجون، وأثر حضور السّجن في الرواية.

تناولنا في الفصل الأول الموسوم بـ: "البناء السّردي وعلاقته بمكان السجن"، تناولنا فيه توظيف السّجن وسطوة المكان، بالإضافة إلى تشظي الزمن داخل الرّواية، وأخيرا الحديث عن الشّخصيات وعلاقتها بمكان السجن.

أما الفصل الثاني: تم عنونة بـ **دلالات السّجن**، حيث قمنا بدراسة الدلالات المستنبطة من توظيف السجّن في الرواية.

والخاتمة وهي عبارة عن خلاصة لأبرز وأهم النتائج التي جاءت في البحث

وكان اعتمدنا لإنجاز البحث على جملة من المراجع أبرزها:

- ✓ بنية الشّكل الرّوائي، لحسن بحراوي.
- ✓ تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، لأحمد شريبط.

بناء على ما ذكر؛ فقد كان اتكاؤنا على المنهج البنيوي في تحليل البنية االسردية داخل الرواية بالدرجة الأولى، بمعية المنهج الوصفي التّحليلي؛ الذي ساعدنا في استنباط بعض الدلالات التي حضرت في الرواية إثر التّوظيف المكرّس لفضاء السّجن.

بطبيعة الحال، كأي عمل بحثي، لابد من بعض الصعوبات والعوائق التي تثبط من السّير البحث؛ فقد كان الوقت غير كاف لاستخراج كلّ الدلالات الخاصة بتوظيف السّجن في رواية **"يسمعون حسيسها"**، فهي رواية مشبّعة بدلالات متنوعة لتوظيف الكاتب لفضاء السّجن.

في ختام هذا العمل البحثي، نشكر الله العلي القديم أن وفقني ويسر لي سبيل البحث، فله المِنة والفضل سبحانه، كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدّم بأسمى آيات الشّكر والعرفان والتّقدير لأستاذتي المشرفة د–**"سعاد طويل"**على صبرها معي من أجل إتمام هذه الدراسة على وجهه الحالي.فلها مني كلّ التحايا والتّقدير.

مـدخـل :

السّجن

في

الرّواية

العربية

نعمل في هذا المدخل إلى تقصي ماهية مصطلح أدب السجون وعلاقته بالكتابة الروائية العربية، خاصة وأنّ السجن على اعتباره مكانا مغلقا يحمل دلالات وأبعادا تكون متضمنة داخل الرواية، وتجعل من العمل الروائي أكثر تأثيرا في المتلقي، بحكم أنّه يوحي بتأزم الأحداث ودخول الشخصيات في أزمات نفسية صعبة. وعلى إثر ذلك قمنا بتتبع مصطلح السجن بين المعنى اللّغوي والاصطلاحي، وماهية أدب السجن وعلاقته بالكتابة الروائية العربية.

1-مفهوم السجن:

وأول من عرف السجن هو الإمام ابن حزم حيث ذكر تعريف السجن في كتابه الأحكام بأنه منع المسجون من الأذى لناس، أو ن الفرار بحق لزمه وهو قادر على أدائه، وقال ابن تيمية السجن هو تعويق الشخص، ومنعه من التصرف بنفسه، سواء كان في بيت أو مسجد أو كان بتوكيل الخصم نفسه، أو وكيل الخصم عليه[1]. فهو كان يقضي فيه المحكوم من العقوبة. [2]

إن كلمة السجن كافية للشعور بالقهر وسلب الحرية لأن السجن هو المكان المغلق الذي تصادر فيه حرية الشخص فيمنع من ممارس حياته بشكل طبيعي، وتأخذ كلمة السجن إلى

[1]-عبد الوهاب مصطفى ظاهر، عمارة السجون في الإسلام الأبحاث التمهيدية كلية الأوزاعي للدراسات الإسلامية إشراف محمد الحسن البغا بيروت، لبنان 2014، ص7.

[2]- ينظر: نبيل العبيدي، أسس السياسة العقابية في السجون ومدى التزام الدولة بالمواثيق الدولية، المنهل 2015 ص 134.

مفهوم ما يشبه العزلة أو الابتعاد عن الناس، وإن كانت هذه التعريفات والمصطلحات قد تنصب ممارستها على الفرد إما بإرادته أو بشكل مفروض عليه، فقد وجد السجن مع وجود الإنسان وقد مارسه بطرق مختلفة [1].

والسجن هو المكان الذي تنفذ فيه العقوبات التي تتخذها المحاكم بحق الإنسان الذي ارتكب جرما، وما ذهب إليه العقاد في تعريفه للسجن بأنه مكان لاعتقال الأسرى أو المحكوم عليهم، ثم أصبح مكانا للتخلص من بعض المغضوب عليهم أو في طريق ذوي السلطان [2].

ونستنتج مما سبق أنه مهما اختلفت المفاهيم في تعريف السجن فإنها كلها تدور حول تعويق الشخص ومنعه من أداء واجباته في شتى المجالات، ومهما تعددت آراء.

السجن هو طريقة لاحتجاز شخص بموجب حكم قضائي أو إقرار إداري من سلطة يستند إما إلى قانون ينص على عقاب الشخص أو لمجرد قرار تقديري من سلطة بمعنى

هو (مدرسة لإعادة التربية والإصلاح) كما هو شائع.

وتأسيسا على ما ذكر؛ فيكون السّجن مؤسسة عقابية تهدف إلى ردع المذنب عن عمله، وإنزال العقوبة به وحجزه بغية تأديبية، إذ أنّه مكان مغلق في حقيقته يحتجز فيه الشخص ويمنع من الخروج إلى انشغاله ومهماته الدينية والاجتماعية.[1]

---

[1]–ينظر، بوسعيد حليمة حرر الوطن في الشعر محمد درويش "نموذجا" مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب حديث تحت اشراف الأستاذة حسناء ، جامعة العربي أم البواقي ، 2014–2015، ص 6.

[2]–سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2003،ص35–36.

3- السجن في الرواية العربية:

إنّ أدب السجون من أبرز المواضيع الأدبية الأكثر حضورا وتوظيفا في المتن الروائي العربي المعاصر، حيث يعكس هذا الرواج كمية الاستبداد والقهر الذي يعيشه الشّعب العربي ، إذ أنّ الكلام عن السجون والمعتقلات وأساليب التعذيب لم يكن وليد اليوم أو هذا العصر وإنّما عرف منذ القدم، وتوظيفه داخل الرواية أمر محتوم لا يخضع لحرية الكتابة بقدر ما يبتز الكاتب الروائي من أجل التأليف عنه وهذا من باب كتابة الواقع ومناقشة كل ما يطفوا على السّاحة الاجتماعية.

وكما ذكرنا فالكتابة عن « التجربة الإعتقالية ليست جديدة على الساحة الفلسطينية والعربية وحتى العالمية فهي معروفة منذ القدم»[2]، ولا يمكن القول بأنّ هناك بلدا عربيا لم يناقش كتابه مثل هكذا موضوع، فقد ذاق أغلبية الكتاب والروائيين العرب، خاصة ممن يعرّون الواقع المعيشي مرارة السجن والتعذيب والاعتقال، ليقرر عدد منهم كتابة تجربتهم داخل السجون والمعتقلات[3].

فقد كتب جملة من الكتاب الروائيين روايات تحاكي الواقع وتتحدث عن السجن والمعتقل وآثار التعذيب والآلام الحاصلة جراء القمع والاستبداد والظلم العلني تحت رأفة

---

[1]-نائل إسماعيل رمضان أحكام الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي دراسة فقهية مقارنة مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ،بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 15.

[2]-ينظر جميل ،السلحوت مدينة الوديان، دار الجندي، المنيل 2014، ص 54.

[3]أ-دب السجون وتداعيات الثورة السورية الالتزام المتجدد ،2015، مقالة الكترونية،ص35. .

الجلاد ، وهذا عبد الرحمان المنيف خير دليل ومثال على الروائيين العرب الذين كتبوا في هكذا مجال وفي هكذا مواضيع، فأخرج لنا رواية **"الآن هنا" و"الشرق المتوسط"** كباكورتي أعماله في موضوع السجون.[1]

وكان العنصر النّسوي حاضرا في مجال أدب السجون، وخير دليل رواية الكاتبة هبة الدباغ **" خمس دقائق وحسب"** التي تنقل فيها صورة تسع سنوات في السجون السورية وكمية التعذيب والضرب التي لاقتها أثناء إقامتها في السجن، كذلك نجد الطاهر بن جلون الذي لم يدخل السجن، ولكنه سمع من أحدهم حكاية عن السجن وفضاعته فقام بكتابة رواية "العتمة الباهرة" متخيلا نفسه وراء القضبان غارقا في عتمة السجن وظلم السّجان[2].

وهناك إجماع أن رواية شرق المتوسط أول رواية عربية في أدب السجون والتي فتحت الباب لهذا النوع من الكتابات التي تلتها[3].

وبالنظر إلى الأدب الفلسطيني نجد أنّ أدب السجون حاضر وبقوة في أغلب التآليف الروائية بوجه خاص، فقد كتبت عائشة عودة رواية بعنوان **"أحلام بالحرية"** وكتبت عصمت

[1]–جميل السلحوت، مدينة الوديان، ص 55.

[2]–إيمان محاورة، أدب السجون في فلسطين دراسة توثيقية، ص 276 277 .

[3]–المرجع نفسه، ص276.

منصور رواية**"سجن السجن"** وهناك العديد من الأعمال الروائية الفلسطينية التي ذاق أصحابها مرارة السجن والاعتقال والتعذيب.[1]

خلاصة أنّ أدب السجون في الروايات والأعمال الأدبية العربية حاضر وبقوة وهذا عائد إلى الحالة الاجتماعية المتدنية والقمع السياسي وإسكات الآخر بالنسبة للسلطة، لنجد أنّ هذا الكم من العواطف يعدّ وقودا لكتابة ناضجة تعتمد على عدّة تقنيات وفنيات جمالية داخل المتون الروائية بشكل خاص، فالصدق في الشعور يعتبر أساس العمل الكتابي في أدب السجون، وهذا ما ساهم في شيوعه في الأوساط الأدبية وذلك نسبة لكمية التّفاعل التي يلقاها مثل هكذا أعمال من قبل المتلقي، الذي هو جزء من الكينونة المجتمعية والذي يتعرض للقمع والاستبداد بشتّى الطرق والوسائل في الوطن العربي بالخصوص.

[1]-جميل السلحوت، مدينة الوديان من 53-56.

الفصل الأول:

البنـــاء

السّردي

وعلاقته

بالمكان

نسعى في هذا الفصل للبحث في بعض عناصر البنية السردية وعلاقتها بموضوع الدراسة وبالتحديد السجن، مثل الشخصية وما ينجم عنها من أحاسيس بمكان السجن وذلك من خلال تتبع الشخصيات البارزة المذكورة، إلى جانب الفروقات الزمنية التي يلجأ لها السارد لتقديم الجانب النفسي الذي تعيشه الشخصية جراء أزمتها وهي في السجن، ووظائفها داخل المتن الروائي، وفق ما يخدم البحث.

1- الشّخصية وعلاقتها بالسجن:

إن المفهوم الشائع عن الشخصية بعيدا عن ارتباطها بالرواية هو أنها ذلك النظام المتحد والمتكامل و المتفاعل مع عوامل جسمية ونفسية و اجتماعي، و هو مفهوم شائع عند الناس وعند جميع المختصين الدارسين والعلماء كعلم الاجتماع و النفس ففي النظريات السيكولوجية تتخذ الشخصية إلى نمط اجتماعي وتصير فردا أي ببساطة كائنا إنسانيا وفي المنظور الاجتماعي تتحول الشخصية إلى نمط اجتماعي يعبر عن تعبر عن واقع طبقي، ويعكس وعيا إيديولوجيا[1]، وتعد من أهم العوالم المساهمة في تشكيل الرواية.

1- احمد الناوي بدري، خصائص الكتابة الروائية، دار حوار للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص 29.

تعرف الشخصية "على أنها المحرك الرئيسي الذي يدفع بتطور الأحداث داخل العمل الروائي، و قد تجلت عد مفاهيم حول الشخصية باعتبارها المحور العام الرئيسي الذي يتكفل بإبراز الحدث و عليه يكون العبء الأول في الإقناع بمبدأ أهميته المثارة في القصة و قيمتها"[1]، هذا التعريف يؤكد على فعالية الشخصية وأهميتها ودورها الفعال في النص الروائي. ويتوزع حضور الشخصية في الرواية قيد الدراسة بين الشخصية الرئيسية والشخصية الثانوية وعليه سنركز على الشخصيات التي لها الدور الفعال في الرواية والتي لها علاقة بمكان السجن بالتحديد ومن حيث تأثيرها في الرواية، وكذا وظيفتها داخل السرد.

وبخصوص **الشخصيات الرئيسة** فهي دينامية، تسهم في تطور أحداث الرواية، وذات تأثير على سيرورتها، و«دورها يكون واضحا في الرواية أو القصة لأن اهتماماتها تشكل المادة الأساسية للرواية» [2] وتحتل مساحة واسعة من الفضاء السردي وهي الشخصية البارزة حيث يكون لها حضور قوي في النص الروائي.

[1]– ينظر: نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين أحمد علي بأكثير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية وفنية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط5 ،2007 ص51.

[2] –خليل رزق، تحولات الحبكة مقدمة لدراسة الرواية العربية، مؤسسة الإشراف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص54.

هي الشخصية التي يكون لها حضور دلالي أكثر من الشخصيات الأخرى وهي تتميز أيضا بكونها الأكثر فعالية في الرواية، إضافة إلى أنها تملك أكبر عدد من الأفكار (القيم) وغالبا ما تدافع على هذه القيم مع حضور المساعد والمضاد في الوقت ذاته فهي " تمتلك أساليب مميزة للتعبير عن نفسها، أنها تمتلك اسما، بينما أي شخص أخر ليس كذلك، أنها الشخصية الوحيدة التي تكون متصلة بمواقف أخلاقية معينة[2*1]" تجعلها تملك بعض الأساليب التي تمكنها من إحداث التحولات و توجيه المسارات نحو حالة اتصال أو حالة انفصال.

تعد الشخصية ركيزة هامة في العمل السردي وهي كل مشارك في أحداث الرواية ويتم النظر إلها من خلال أبعاد مختلفة، سنتناول أبرز الشخصيات التي لها صلة بالموضوع ومنها:

1-1-إياد:

هي الشخصية الرئيسة في الرواية، وعليها يبنى العمل الروائي أول ما يطلعنا عليه السرد على لسان الشخصية ذاتها بلون بشرته السمراء في المقطع الآتي « وكانت الفراشات في فصل الربيع تغطي كل شيء بما في ذلك صفحة وجهي السمراء، وكانت النحل تهب عسلها للرائحين

2-جبير الدبرسند،علم السرد الشكل و الوظيفة في السرد، تر:بسام صالح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 201، م1، ص 100 .

والغادين عن طيب نفس... ، »[1]، فإياد بحسب هذا المقطع من الرواية من ذويي البشرة السمراء.

وقد كان مظهره الخارجي خاصة هندامه كمثل هندام أقرانه في السبعينيات « طال شعر رأسي، وتهدل جزء منه على كتفي، كأي شاب في السبعينات ، كنت أجد في ذلك لذة غامضة لا تحتاج إلى تفسير، وكان بنطلون الجينز موضة العصر ، إضافة إلى قميص الكاروهات ذي الياقة الواسعة التي تغطي نصف الأكتاف»[2]. وعليه؛ فإياد شعره طويل، يحب لبس الجينز متبعا موضة ذلك العصر، زيادة على ذلك فهو يرتدي قميص الكاروهات.

وكان يعاني في صغره التعنيف الأسري من أبيه، فقد كان يقوم بتهديده مرارا وتكرارا ويتعرّض للضرب دوما على يدي أبيه، من أجل أن يذاكر ويتحصل على المعدل الذي يؤهله لدخول كلية الطب، ومن بين صور التعنيف التي أخبر بها إياد عن أبيه في الرواية، أنّه وجده متأكدا على شجرة ولا يحمل كتب البكالوريا؛ يقول: « ولم تكن بين يدي كتب البكالوريا ، فامسك بجذع شجرة غليظ ، ثم رقى بجسده الذي يزيد عن 120كلغ ، فقفز على ساقي الممدودتين تحته حتى كاد يكسرهما، وصاح وهو يتميز من الغيظ » [3]، وعليه فهي من صور

[1]– أيمن عتوم ، يسمعون حسيسها ، معايشات سجين تدمري 1980–1997، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2013، ص09.

[2]–المصدر نفسه ، ص11 .

[3]– نفسه ، ص 12 .

القسوة التي تعرّض لها إياد من أبيك ليدخل كلية الطب ويحقق حلم أبيه بأن يكون طبيبا ذات يوم.

إياد بعد مدة من الزمن نجده في الرواية قد ارتقى وأصبح طبيبا يزاول مهنة الطب في أحد المستشفيات يقول الراوي وهو شخصية إياد « في الدور الرابع للمستشفى الذي صرت أعمل فيه، كنت أفحص بين يدي طفلا انتفخ بطنه لطول ما أصابه من إمساك» [1].وبهذا نجده قد دخل كلية الطب وأصبح طبيبا كما كان يحلم أبوه أن يكون، الظاهر أن التعنيف قد أتى بثماره على مستقبل إياد.

ومنذ صغره تتسم شخصية إياد وهو الطفل الصغير بالعفوية وحب الانطلاق والحرية وهذا ما حرم منه بعد دخوله السجن وما عاناه، نجد ذلك في قول الكاتب على لسان إياد:« وكنت أجد بين أشجار الصفصاف والسرو مساحة للركض الساذج تعبيرا عن انطلاقات عفوية لا يملك طفل في مثل سني ها ردا »[2]، حيث يبحث إياد دائما على الأمكنة الخضراء كالحدائق والبساتين من أجل التصرف بعفوية مطلقة.

شخصية إياد شخصية عنيدة تكابر من دون استسلام، وقد وجدنا العديد من المقاطع التي تدل على ذلك منها ما قاله إياد حينما كان يعذّب على يد العساكر « كنت عنيدا نعم، كنت

[1]– أيمن عتوم ، يسمعون حسيسها ، ص16.

3– المصدر نفسه ، ص09 .

أحاول أن أثبت قدرتي على التحمل أمام نفسي،بدأت أستمتع باللعبة ، صرت أحاول ، أن ابتلع كرة الألم النحاسية عند الضربة الأولى »[1].

يعمل الابن إياد طبيبا في أحد مشافي البلاد، لكنه كان دائما ما يتمنى أن يعود مواطنا بسيطا، فإياد أعياه التعذيب حتّى أنّه ندم على كونه طبيب ويرغب في العودة إلى بيته وأهله؛ يقول «أنا أريد أن أعود إلى أهلي وزوجتي، أريد أن أعيش مواطنا عاديا أقتات من عملي في مهنة شريفة، هذه المهنة التي بذل لها والدي الفقير كل ما يملك حتى يقال : إن ابنه صار حكيما»[2].

تعرّض بطل هذه الرواية (إياد) إلى تعنيف و تعذيب قاسي داخل السجن، وقبل هذا الأخذ القصري له إلى الحبس، كان يتعرّض للتعنيف الجسدي واللّفظي من أبيه، فقد كان يحتقره ويذلّه ويتسلّط عليه في كلّ شيء، حتّى إذا كبر إياد وأصبح طبيبا أخذه الجّلاد وأدخله السجن السّياسي، ومارس عليه كلّ طقوس التذليل والإرهاب والتخويف والتعذيب بشتّى الوسائل والطّرق فكان كلّ محقق يمارس عليه نوعا من أنواع التعذيب والقهر النفسي والجسدي، حتّى أصبح يرى في موته خلاصه.

وقد فصلنا في هذه العلاقة بين الشخصية والسجن وما ينطوي تحتها من دلالات في الفصل الثاني.

---

[1] أيمن عتوم ، يسمعون حسيسها ، 22.

[2] –المصدر نفسه ، ص33.

إلى جانب شخصية إياد تحضر شخصية الأم والأب عن طريق الاستذكار وإياد في السجن ليظهر النقيض بينهما فتبرز الأم لتكون أنيسا في السجن والأب بقسوته في الصغر.

1-2-الأب:

هو أبو إياد شخصية ثانوية لها دور كبير في تشكيل شخصية إياد معروف بقساوته على ابنه إياد وتعنيفه الدائم له، فقد كان يصرّ على إياد لكي يذاكر ويدخل كلية الطب.

يرسم لنا الكاتب شخصية أب إياد بأنه ضخم الجثة يزن ما يقارب 120 كلغ، وهذا ما نلمحه من خلال سرده لحادثة قد مرّت على إياد، ففي أحد الأيام وجد إياد ولم يكن يحمل كتب البكالوريا« فامسك بجذع شجرة غليظ ، ثم رقى بجسده الذي يزيد عن 120كغم ، فقفز على ساقي الممدودتين تحته حتى كاد يكسرهما ، وصاح وهو تيميز من الغيظ»[1].وعليه فهو شخصية ضخمة الشكل الخارجي.

1-3- الأم: مقابل هذه الشخصيات المضادة تحضر شخصية الأم لتكون مصدر الأمان والطمأنينة لدى البطل وهو في سجنه يتجرع مرارات الألم والمعاناة، شخصية الأم في أغلب الحالات شخصية مليئة بالحنان والعطف على أولادها تشملهم بالرعاية والحب وتحميهم أحيانا من غضب الأب وسخطه وقلقه، وهذا ما وجدناه في الرواية حينما وصفها إياد، وذلك من قوله

[1] المصدر السابق، ص12.

وهو يسرد أيامه مع أهله وأبيه؛ « ركضت باتجاه الحقول وأنا أرتجف من الخوف، واختبأت خلف الأشجار حتى يهدأ أبي وكنت أظل على خوفي هذا حتى يهبط الليل ، ولا تكون لي من شفيع إلا أمي التي كانت تقبل رجلي أبي لكي يسمح لي بالمبيت هذه المرة ، وتحلف له أغلظ الأيمان انه لن يعود لمثلها »[1]..

1-4-المحقق:

المحقق شخصية أمنية تقوم بالتحقيق مع المجرمين واللصوص والإرهابيين، وفي رواية **"يسمعون حسيسها"** هو شخصية تشرف على التحقيق مع إياد الطبيب حول قضايا عديدة أولاها وأهمها قضية اتهام إياد بالانضمام إلى مجموعة إرهابية.

يرسم لنا الكاتب على لسان إياد شخصية المحقق بأنّه شخص عنيف لا يتكلم إلّا بالضرب والسب والشتائم، هائج كالثور عليه، يطرح الأسئلة ولا يتوقف عن التعنييف، محترف في أساليب التعذيب والتنكيل؛ وهذا ما وجدناه في قول إياد: « وبدأت أولى هزائمه ، انقض علي كثور هائج ، كان يخو وهو يسب ويقذف بالشتائم في كل اتجاه ، جثا خلفي ، وركن كوعي إلى كتفه القاسية ، وامسك بأصابعي وأرجعها إلى الخلف بكل ما فيه من غيظ وحنق ،

[1]- أيمن عتوم ، يسمعون حسيسها ، ص 12.

فانكسرت الوسطى مثل قرن فول أخضر ، سمعت طقطقتها ، قبل أن اصرخ بكل ما في من طاقة»[1].

1-5-المحقق الجديد:

يقول إياد في حق شخصية المحقق الجديد « لم يكن المحقق القديم ، كان آخرا جديدا ، طويلا ، ضخم الجثة ، قاسي النظرات ، رخيم الصوت أجشه ، وكانت راحة كفه تساوي ثلاثة أضعاف راحة كفي ، حجما وسماكة».[2].

وعليه فهو ضخم الجثّة، قوي الملامح صوته خشن، وهذا دليل على أنّ تعذيبه لإياد سيكون أضعاف المحقق القديم، حتّى أنّ كفّه أكبر بكثير من كفّ إياد بثلاث مرات، ونحس من هذا أن من يرى هذا المحقق سيصاب بالخوف والفرع، ويواصل إياد في صوته بين ثنايا سرد مشهد دخوله على هذا المحقق « دار أحدهم بهراوة غليظة في فمي ، وراح يحركها هنا وهناك وأوقفوني كما أوقفوا الضحية قبل قليل ، توجه الثور نحوي ، مد كفه ، رأيتها كف غوريلا بشاعة وحجما ، أمسك جبهتي ، قدمها اتجاهه أولا ثم هوى بها إلى الجدار بأسرع ما يستطيع »[3].

[1]أيمن عتوم ، يسمعون حسيسها ، ص 30-31

[2]-المصدر نفسه ، ص34.

[3]-المصدر نفسه ، ص35-36.

إذن؛ من خلال ما قيل نجد أنّ شخصية المحقق رسمها لها الكاتب عن طريق إياد بأنّه أقوى وأكبر حجما من إياد منظره يوحي بالقوة ويقذف في النفس الذعر والخوف.

1-6-شخصية المحقق الثالث: المحقق الجديد كان أقوى من السابقين وأمهرهم في أساليب التعذيب المحضورة نستشف ذلك من خلال قول إياد « كل محقق سابق يعد فاشلا بالنسبة للمحقق التالي ، ذلك أن الاستبدال يكون للضعيف ويأتي من بعده من هو أشد واعتى» .[1]، ففي حالة استبدال محقق بهذا المحقق فيه دليل على أنه أقوى من سابقين وأنهم أشدهم بأسا وتنكيلا، وفي هذا وصف داخلي يتعلق بهذا المحقق الجديد، الذي يدل على جبروته وقوة ظلمه وشدة بأسه.

1-7-شخصية محمود الفحام:

شخصية محمود الفحام هو طبيب كان يداوم في نفس المشفى الذي يعمل فيه إياد، وقد كان ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين، هذا ما أخبر به إياد حينما سئل عنه وعن مجموعة من أسماء جماعة من الإخوان« ثم ما هذا الرتل من الأسماء التي يعرضها علي؟ صحيح أن بعضها أعرفه، ولكن أكثرها سمعت أنها قتلت أو اختفت عن الوجود ، وحده محمود الفحام كان طبيبا مثلي المستشفى الذي عملنا فيه معا لمدة عام وكنت أعرف أنه من الإخوان المسلمين

[1]أيمن عتوم ، يسمعون حسيسها ، ص46.

»[1]. نفهم من هذا أن شخصية محمود الفحام شخصية مطلوبة عند أجهزة الأمن وذلك لتسببها في محاولة قتل الرئيس وتشكيل جماعة إرهابية غاية تخريب البلاد.

2- المفارقات الزمنية:

تعنى المفارقات الزمنية بدراسة الترتيب الزمني في الرواية وهي«اللحظة التي يتم اعتراض السرد التتابعي الزمني لسلسلة من الأحداث لإتاحة الفرصة لتقديم الأحداث السابقة عليها». فسرد فالأحداث في الرواية لا تتبع تسلسلا زمنيا أفقيا ووتيرة وترتيبا زمنيا واحدا، بل يلجأ الروائي للتلاعب بالزمن خلخة نظامه التسلسلي بحسب ما تقتضيه الحاجة.

يرى جيرار جينات أن «المفارقات الزمنية تعنى بدراسة الترتيب الزمني لحكاية ما مقارنة بنظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة».[2]

أي إن المفارقة يمكنها تعود العودة للماضي أو تتوقع المستقبل وتكون قريبة أو بعيدة عن لحظة حاضر القصة التي يتدفق فيها السرد حتى يفسح المجال لتلك المفارقة وعليه يمكن أن نميز بين نوعين. الاسترجاع والاستباق وعليهما تقوم الرواية

[1] المصدر نفسه ،ص32.

[2] -جيرار جينات خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم عبد الجليل منشورات الاختلاف الجزائر ، ط3، 2003، ص47.

2-1-الاسترجاع:

يعد الاسترجاع « تقنية سردية يقوم فيها الروائي بالرجوع بالذاكرة إلى الوراء، حيث يسلط الضوء على أحداث ماضية من شأنها التأثير في الأحداث الحاضرة للرواية.

يستعمل الكاتب هذه التقنية السردية على طول متنه الروائي، ومن أمثلة المقاطع السردية التي وظّف فيها الاسترجاع قوله: «لا ادري كم مضى من الأيام وأنا غائب عن الوعي ، صحوت في غرفة معتمة إلا لمبة ترتفع بتكاسل على مكتب المحقق ، كنت عاريا إلا من الشيال والشورت»[1].

وعليه؛ فالسارد يتحدث بلسان إياد الذي يروي ما عاشه داخل زنزانة التعذيب، كيف لا ينسى ذلك وقد عاش الأمرين وقت ذاك ، فأصبحت ذاكرته حاضرة في ذهنه دائما، يعيش الحاضر بطعم الماضي جراء ما عاشه من ويلات التعذيب وبطش العساكر والمحققين.

كما نجد إياد يتذكر في غرفة الحبس ليلة الأمس التي نقشت في ذاكرته، يقول في شأنها « استيقظت فجرا ، بدت السماء من شق الباب كأنها تتخلى عن سوادها لأزرقها ، كانت ليلة أمس قد قدمتني إلى الموت الذي رفضني ، هل يكون الموت متواطئا مع الجلادين »[2]. بطبيعة الحال أنّه دائم التذكر خاصة ما مضى عليه في تلك الليلة جعله يحمد الله أنّه لم يمت من شدّة

[1]أيمن عتوم ، يسمعون حسيسها ، ص17.

[2]المصدر نفسه ص 32.

التعذيب وأسوء الإهانات والتنكيل، لقد عاش فترة التعذيب والحبس تلك جعلت منه يرى حاضره في ماضيه، فلا يقوى على نسيان ما مر به، شدّة الألم والتعذيب وإن اختفت من جسده فهي قابعة في ذاكرته يراها بأم عينيه كل يوم، فالألم النفسي دائم على الألم الجسدي.

2-1-الاستباق:

تقنية الاستباق هي الأخرى من تقنيات الزمن التي يعتمدها أي روائي من أجل التلاعب بالزمن وجعل الأحداث داخل قالب الحكاية بين مدّ وجزر، وفي رواية " يسمعون حسيسها" حاضرة بتقنية الاستباق، فقد وظّفها الكاتب **"أيمن العتوم"** كثيرا في روايته هذه، ولعلنا ننتقي بعض المقاطع السردية التي توثق هذا التوظيف؛ يقول الكاتب بلسان الراوي (إياد)« وفي الينبوع الصغير الذي يتفجر من رأس الجبل ويهوي إلى الوادي كنت أجد فرصة للاستحمام الذي لا ينتظر دورا ولا إذنا من احد هل كانت هذه الجنة ؟ إذا كانت إذا كانت هذه كذلك فأين جهنم إذا ؟ من يدري ماذا يستتر خلف الغد ».[1] نجد في هذا المقطع من الرواية تطلّع إياد للقادم، فهو تساؤل عن المستقبل وما فيه بروح خائفة من المجهول.

كذلك يقول في أحد الأيام « اتصل بي المدير، وسألني بصوت مرتبك فيما إذ كان ممكنا إن أوافيه إلى مكتبه للحديث في أمر يخص العمل، عرفت حالا ماذا ينتظرني، فكتبت

[1] أيمن عتوم ، يسمعون حسيسها ، ص09.

الدواء عل عجل لأم الطفل وسارعت بالوضوء وصليت ركعتين لم أدر ماذا قرأت فيهما».[1]، في هذا المقطع نجد أنّ إياد لم يكن يتساءل عن سبب طلب مدير المشفى قدوم إياد إليه بل إنّه كان يعرف سبب طلب المجيء، وفي هذا كان المستقبل عنده معلوما على عكس المقطع السابق، الذي كان فيه المستقبل مجهولا.

يقول إياد معتمدا مفارقة الاستباق « ثم نزلت من الدرج قاصدا المخرج الخلفي للمستشفى لم تكن فرصة نجاحي في الهروب كبيرة، ولكنني حاولت، حين لفحتني نسمة حارة من نسمات أوائل شهر تموز أدركت أن اللهيب قادم، وأن لحظات الاستحمام تحت ماء الينبوع ولت إلى غير رجعة» .[2]فهو في هذا المقطع يدرك تماما ما سيلاقيه من العذاب، وأن أيام النعيم والهناء قد ولت بلا رجعة فهو مقبل على أيام عجاف يرى فيها السواد والتعذيب، وفي هذا نجد إياد وكأنه يدرك تماما ما ستؤول له الأمور والمستقبل عنده واضح.

ويقول في مقطع آخر موظفا تقنية الاستباق: « من ينقذني من الجحيم الذي أعيشه لم كل هذا الذي يفعلونه يقولون إن كتائب الطلعة تخطط لاغتال الرئيس ما شأني أنا والرئيس ؟»[3] ، في هذا المقطع نجد إياد تساءل طالبا النجدة من هذا الجحيم وهته الآلام وطرق التعذيب التي يتعرض لها، ونلمس في هذا أنّ نفسيته متعبة جدا جراء قسوة التعذيب وبطش العساكر.

---

[1]المصدر نفسه ، ص16.

[2]– أيمن عتوم ، يسمعون حسيسها ، ص 16.

[3]–المصدر نفسه ، ص32.

3-سلطة المكان: يعد المكان عنصرا أساسيا في بناء الرواية، وهو إجراء تقني سردي أساسي لبناء هيكل الرواية وهو ليس إطارا جغرافيا وحدودا هندسية فقط، بل يتعدى ذلك إلى إعطاء تفسير وقراءة للنص الروائي، كما يعمل على مساعدة المتلقي على فهم الوقائع وإدراك الشخصيات ، فاختيار الروائي للأمكنة بدقة يساعده في إيصال المعنى الدقيق الذي يريد الوصول إليه.

تختلف أنواع الأماكن باختلاف استخداماتها في النص الإبداعي، وهي « تخضع في تشكيلها أيضا لمقياس آخر مرتبط بالاتساع والضيق والانفتاح والانغلاق».[1] ، إذن؛ من وجهة نظره فالأمكنة تتنوع وتختلف باختلاف اتساعها وضيقها وانفتاحها، وفيه إشارة إلى أن هناك أمكنة منفتحة وأخرى متسعة وأخرى ضيقة ومتسعة. إلا أننا سنركز في الرواية على الأمكنة المغلقة وبالتحديد السجن موضوع البحث إلى جانب الأمكنة التي لها علاقة بالسجن .

3-1-/المكان المنغلق(المغلق)/صورة للقهر والموت:

المكان المغلق يمثل في غالبه« الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير من المكان المفتوح، فقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة

[1]- بنية النص السردي، المرجع السابق،ص74.

لأنها صعبة الولوج، وقد تكون مطلوبة لأنها تمثّل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة»[1].

ونرى من جهة أخرى، أن الأمكنة المغلقة « تشكل قوقعة منغلقة على الشخصيات التي تتواجد فيها بحيث لا تتصل بالعالم الخارجي ولا تستطيع التأثير فيه».[2]

والراجح أن الأماكن المغلقة لها علاقة مباشرة مع محدودية المساحة أو الحيز إذ تتمثّل«الأماكن المغلقة في المساحة الجغرافية المحدودة، هذا النوع من المكان حاضر بقوة في الرواية باعتبار المأوى الرئيسي الذي قضى فيه البطل معظم أيامه، وكانت ميدانا للحدث وحركة الشخصيات».[3]

وعليه؛ نستنتج أنّ المكان المغلق هو مكان عيش الإنسان، وهو الملجأ والملاذ أحيانا وهو المكان الذي يمكث فيه فترات طويلة. ومثال ذلك: .البيت.السجن.المكتب.

وتكون الأماكن المغلقة أحيانا إما: أماكن غير مرغوب فيها كالسجن والبئر وغيرها، وإمّا أمكنة تبعث على الأمن الطمأنينة: كالبيت.

---

[1] –أوريدة عبود ، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية ،دراسة بنيوية لنفوس ثائرة ، ص59.

[2]– بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية،المرجع نفسه، ص72.

[3] – أحمد زيتون، المكان والمصطلحات المقاربة له دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، جامعة الموصل، العدد 2، ص 244.

الملاحظ في رواية " **يسمعون حسيسها**" أنّ توظيف الكاتب الروائي **"أيمن العتوم"** لأغلبية الأماكن داخل هذه الرواية–إن لم نجزم بكليتها–أنها أماكن مغلقة، وفي هذا دلائل كثيرة، سنحاول التّطرق إلى أبرز الأماكن المغلقة، والتي لها وقع في نفس الشخصية الرئيسة (إياد):

3-1-1- السجن:

المتأمل في رواية **"يسمعون حسيسها"** يجد الروائي**"أيمن العتوم"** لم يذكر اسم ولا موقع السجن الذي أقتيد إليه السجين بطل هذه الرّواية إياد، وإنما ذكر رقم الزنزانة التي يقبع فيها فقط، ليدل هذا في تكريس الكاتب على آثار دخول السجن وما ينجر عنه هذا الحدث من تعذيب وتعنيف وتنكيل من الناحيتين النفسية والجسدية، وكيف واجه بطل هذه الرواية إياد هذا الموقف وكيف تعامل مع جلّاده.

3-1-2--الزنزانة رقم 11:

يخبر الكاتب من خلال روايته **"يسمعون حسيسها"** أنّ إياد–الشخصية الرئيسية في الرواية قد أدخل وألقي في زنزانة رقمها 11 فقط، يقول:« لا أدري كم مضى من الأيام وأنا غائب عن الوعي، صحوت في غرفة معتمة إلاّ لمبة ترتفع بتكاسل على مكتب المحقق، كنت عاريا إلاّ من الشيال والشورت، من خلفي عسكريان، ومن خلف المحقق مثلهما»[1]،هذا ما نجد الكاتب وصف به هذه الزنزانة، حتّى أن مشهد إلقاء القبض عليه وكيف أدخلوه إلى هذا السجن لم

[1]– أيمن عتوم ، يسمعون حسيسها ، ص21.

يذكره، وهذا عائد من أخبرنا الكاتب أنّه قد أغمي عليه وقت القبض عليه وهو هارب من المستشفى الذي يعمل به.

في كلّ مرة كان يعذّب وينكل به ويتعرّض إلى تعنيف لفظي وجسدي، يقول: « شحطوني إلى الزنزانة التي تحمل رقم 11 تفاءلت بالرقم ودخلت كتلة من الجراح ، وكيسا من الأوجاع التي لم أجربها في حياتي سابقا »[1]، وهي مكان مغلق يوحي بالخوف والتعذيب وبشاعة الجلاد والقسوة، منقوش في ذلك بطل الرواية، فمجرد تذكر الاسم يلقي القشعريرة والخوف في نفس إياد، فهو مصدر خوف لا ملجأ بالرغم من كونه مغلق.

3-1-3-المستشفى: هو في الأصل مكان مفتوح يرتاده أغلب الناس، ولكن نفضل تناوله ضمن الأمكنة المغلقة كونه مغلق على فئة معينة، والمستشفى الذي يذكره السرد وله صلة بسجن إياد هو المستشفى العسكري، وهو يقترن حضوره بالتعذيب.

و**المستشفى العسكري:** هو مستشفى كأي مستشفى آخر، إلاّ أنّه تابع للقطاع العسكري، فكل عماله منتسبون للقطاع العسكري وليسوا أناسا مدنيين، وجاء الحديث عنه فيما يلي: « كان المستشفى العسكري يغصّ بالمسلوخين من أمثالي، في ذلك العام فرغ المستشفى من مرضاه الحقيقين، وخصص لضحايا التعذيب القادمين من فرع الخطيب أو فرع الأمن الداخلي كما كانوا

[1]- أيمن عتوم ، يسمعون حسيسها ، ص21.

يسمونه آنذاك»[1]، هذا المكان المغلق فيه دلالة على أنّه مكان يوحي بنتائج التعذيب والتنكيل التي يقوم بها فرع المحققين والعساكر الذين استلموا ملفات الإرهاب، محاولين استنطاق الناس بشتى وأبشع أساليب التعذيب، حتّى يلقى أحد الأمرين إما أن يهلك وإما أن يشارف على الهلاك فيلقى في هذا المستشفى من أجل التطبيب، فهو مكان يكرّس لنتيجة الهمجية والقمع والاستبداد التي تمارسها السلطة تجاه الناس، وما أكثرهم الأبرياء.

كما يحضر المستشفى الذي يعمل فيه إياد يقصده الناس للتداوي من الأمراض واخذ الأدوية وفيه يتواجد الأطباء يزاولون مهامهم الموكلة إليهم وفيه فريق طبي متكامل، وفي رواية **"يسمعون حسيسها"** يقول إياد موظفا المستشفى في قوله وهو يتحدث عن عمله كطبيب، «في الدور الرابع للمستشفى الذي صرت أعمل فيه كنت افحص بين يدي طفلا انتفخ بطنه لطول ما أصابه من إمساك»[2]، فالمستشفى مكان مغلق يوحي بالأمل إذ يعالج فيه المريض وفي أغلب الأحيان يدخل له الناس مرضى ويخرجون منه أحيانا، وبهذا يكون هذا المكان المغلق مصدر أمل وشفاء.

3-3-المسجد:

[1]-المصدر نفسه ، ص38.

[2] -المصدر نفسه ، ص 16

المسجد مكان للعبادة وإقامة الصلوات الخمسة وتقديم دروس الوعظ والخطب الدينية، وقد وظّفه الكاتب في روايته **"يسمعون حسيسها"** بأنّه مكان مغلق يلجأ إليه **"إياد"** هربا من غضب أبيه واحتقانه عليه؛« هربت من أبي إلى المسجد ، وكأنما وجد أبي حرمة في ملاحقتي إلى هناك ،أو اطمأن إلى بعض الشيوخ الذين يدرسون فيه ، فكفت العصا عن الهوى على رقبتي ، والسكين عن الارتفاع في وجهي واستسلم أبي لقدسية المكان»[1]، وعليه فهو يمثل الملجأ الذي اتخذه إياد حينما كان صغيرا هروبا من أبيه وقسوته عليه، خاصة وأن الأب عندما يهرب إياد إلى المسجد يتركه وشأنه مطمئنا عليه في هذا المكان، ليقدّم هذا المكان دلالة على الأمن والاستقرار والملجأ.

مقابل الأمكنة المغلقة تحضر الأمكنة المفتوحة بوصفها أماكن تتوق لها الشخصية للتحرر من السجن

3-2- المكان المنفتح(المفتوح)/ الإنعتاق والتحرر:

يعرّف المكان المفتوح بأنّه « حيّز مكاني خارجي لا تحدّه حدود ضيّقة، ،يشّكل فضاء رحبا ،وغالبا ما يكون لوحة طبيعية للهواء الطلق»[2].

---

[1]-المصدر نفسه ، ص13

[2] -أوريدة عبود، المكان في القصة الجزائرية الثورية -دراسة بنيوية لنفوس ثائرة،ط1، دار أمل للطباعة و النشر ، الجزائر،د-ت،،ص51

إضافة إلى ما ذكر؛ فـ« هي الأماكن التي توحي بالاتساع والتحرك ولا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف، لاسيما إذا كان المكان المفتوح في أمكنة الشتات..والمنافي....ويرتبط بالمكان المغلق ارتباطا وثيقا ولعل حلقة الوصل بينهما هي الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى المفتوح...».[1] وذلك عائد لكون الإنسان محب للتحرر والتحرك في الفضاء الرحب، إذ نرى الإنسان يهرب من المكان المغلق نحو المكان المفتوح في محاولة للهروب من المكان المرتبط بالخوف عادة نحو الأمن والواسعة.

ويرجع هذا الانفتاح إلى احتواء المكان لعدة أحداث ووقائع، وتكون بينه وبين شخصيات الرواية روابط مختلفة، إذ « تنفتح بعض الأماكن على العالم الخارجي وعلى تعدد الشخصيات التي تتفاعل بينهما، منتجة علاقات اجتماعية».[2]

ومن أبرز الأمكنة المفتوحة والتي لها علاقة بالشخصية الرئيسة والتي تذكرها لتجاوز محنتها فهي ترى فيها الحرية والانفتاح نذكر:

1-الحقل:

هو مكان تزرع فيه أنواع النباتات والأشجار، ويستعمل عادة في مجال الفلاحة، ونجد من يعمل في الحقل يقال له الفلاح، وقد ذكر الحقل في رواية "يسمعون حسيسها بشكل

[1] -حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، د.ط، ص 166.

[2]- بنية النص السردي، المرجع السابق، ص73.

مقتضب في بداية الرواية؛ من قول الكاتب محدثا بلسان إياد:« وبين حقول مورقة تروي فصولا من حياة الرّاحلين، كانت السّحب العابرى في الأيام المشمسة ترفعني إليها عبر خيالاتي المجنحة، وكانت الفراشات في فصل الربيع تغطّي كل شيء بما في ذلك صفحة وجهي السمراء. وكانت النحل تهب عسلها للرّاحلين...»[1]، هذا التوظيف لمكان مفتوح في بداية الرواية دليل على أنّ الرواية تسير في نفق الانغلاق والتقييد، فالكاتب ذكر لنا الحقل وما يحتويه من فراشات ونحل ونحو ذلك من زهور وأشجار، وكان الطفل إياد منتشٍ من السعادة والغبطة، يمرح في مكان مفتوح دال على الحرية، ولا يعلم أنّ السجن في انتظاره عندما يكبر، فهو بهذا ينقلنا– الكاتب–من منطقة حرة إلى منطقة مقييدة مرتبطة بحدود هندسية، فالأصل في الانسان الحرية إلاّ أن الحكومات والفكر السلطوي يحوّل الإنسان من شخص حر إلى شخص مقييد مرتبط بمداره السلطوي، لذلك كان هذا الاستعمال والتّوظيف من الأمور الذكية من الناحية التّقنية في الكتابة على مستوى الرّواية.

بالإضافة إلى أنّ هذا التوظيف للمكان المفتوح يعدّ الوحيد في الرواية لتنتقل كلّ أحداث الرّواية تحت كنف الأماكن المغلقة.

[1]–أيمن العتوم، يسمعون حسيسها، ص09.

خلاصة القول؛ إنّ التوظيف لهذه الأمكنة المغلقة اختلف في حقيقة دلالته بين ما هو مكان آمن ويعتبر ملجأ للشخصيات، وبين ما هو معبّر عن القسوة والبطش والظلم، والملاحظ أن كثرة توظيف الأماكن المغلقة فيه دلالة على أنّ الكاتب يريد بعث رسالة أنّ الرواية تدور في مدار مغلق بين الشعب والسلطة وأن السلطة تريد أن تتقوقع على الشعب وأن تقبض على حرية الأفكار والمعتقد وأن تجعل من الفرد يعيش في كنفها وتحت جناحها، وأن ترسم له حدودا واضحة لا يمكنه تجاوزها أو حتّى الاقتراب منها، وهو فعلا ما لمسناه بين سطور رواية **"يسمعون حسيسها"** لمؤلفها **"أيمن العتوم"**.

الفصل الثاني:

دلالة

السّجن

نسعى من خلال هذا الفصل إلى البحث في مجموع الدلالات التي ينطوي تحتها السجن في رواية **" يسمعون حسيسها"**وتبيين آثار ذلك على نفسية الشخصية البطلة التي تعرضت إلى مختلف صنوف العذاب والإهابة وهي في السجن، نوردها على النحو الآتي:

1-دلالة التعذيب:

يعد مصطلح التعذيب بالمعنى الواضح استعمال القوة المفرطة تجاه الآخر من أجل أغراض معينة كالتهديد أو التحذير أو استخراج المخبوء من الغير، وفي رواية **" يسمعون حسيسها"** نجد العديد من آثار هذا الاستخدام الخشن للقوة تجاه الشخصية البطلة(إياد)، ومن بين تلك المقاطع التي نستشف التعذيب فيها؛ نذكرها على النحو الآتي:

يطلعنا السرد من البداية على علاقة البطل وهو طفل بأبيه ، يستحضر ذلك إياد وهو في السجن آليا نتيجة لما يتعرض له يقول الراوي (إياد) عن علاقته بأبيه، كيف كان يتعامل معه من منطلق التعذيب والتعنيف الجسدي دائما:« فأمسك بجذع شجرة غليظ، ثم رقى بجسده الذي يزيد عن 120كغم فقفز على ساقي الممدودتين تحته حتى كاد يكسرهما ،وصاح وهو يتيمز من الغيظ : قاعد مثل الكلب هوني .. هي كلية الطب بتستنا كلاب مثلك لا يفوتو أم هيك كلب والله لورجيك»[1]، ففي هذا المقطع نلمس العبارات التي تؤكد على التعذيب

[1]-أيمن العتوم ، يسمعون حسيسها ، ص12.

الجسديكعبارة (فأمسك بجذع شجرة، رقى بجسده، قفز على ساقي، حتى كاد يسكرهما) ، وقد تجاوز هذا التعنيف والتعذيب الجسدي، إلى عبارات نابية دالة على التعذيب النفسي (قاعد مثل الكلب، هي كلية الطب بتستنا كلاب مثلك)، وأحقر تشبيه يمكن أن يقوله الأب لابنه تشبيهه بالحمار، حتّى في القرآن يعتبر صوت الحمار من أنكر الأصوات فكيف بتشبيه الأب لابنه بهيأة الحمار كلّها وليس الصوت فقط، فالحمار دليل على الغباء والبلاهة والبرود، كذلك من الحيوانات الذي اعتادت الضرب والتعنييف حتّى صار التعذيب لها ديدنا لا يمكن أن تعمل دونما هذا الأمر.

ثم ينتقل بنا الكاتب وهو يتكلم بلسان الشخصية الرئيسة(إياد) وقد نال منه التعذيب داخل زنزانة الجلاّد « لا ادري كم مضى من الأيام وانأ غائب عن الوعي ، صحوت في غرفة معتمة إلا من لمبة ترتفع بتكاسل على مكتب المحقق ، كنت عاريا إلا من الشيال والشورت ».[2]، فمن قوّة التعذيب وآثارها المدمرة وكأنّ العقل من خلال هذا المقطع قد خطف من البطل أياما حتّى كأنه لم يحس بالوقت، فهو مغشي عليه، ومن آثار التعذيب أن وجد نفسه (عاريا إلاّ من الشيال والشورت)، فقد جرّد من كلّ ملابسه وضرب وعذّب حتّى لم يقوى عقله عن احتمال التعذيب ففصل العقل عن الجسد، فهذا الغياب التام للعقل مدة أيام دليل صريح على كمية التعذيب

[2] المصدر نفسه ، ص17

والآلام القوية التي تجعل العقل غير قادر على استيعاب الموقف وهو تحت يدي الجلاد، فيغشى على البطل من فرط التعذييب.

والكاتب أخذ يفصّل في طريقة التعذيب والأدوات المستعملة في هذا الأمر؛ يقول « انهالت علي كيبلات الأسلاك المعدنية ، في الضربة الأولى كان الجلد طريا ، غاص الكيبل في اللحم، ماشى دورة الدم في عروق الظهر، خرج وهو يرن، وخرجت معه صرخة الرعب من أعماقي ، حاولت أن انهض فتتابعت اللكمات والكيبلات من كل اتجاه»[3]، فالكيبل في التعذيب من أشهر الوسائل التي يستخدمها الجلاد في تعذييب ضحيته، فهو يستعمل في الجلد والضرب، حتّى تلين الضحية وتعترف بكل شيء، والجلد من الأمور المتعلقة بالتعذيب التي يختلف كل شيء عن غيره في قوة تحمله له،ومبدئيا هذه فقط بداية التعذيب التي ذكرها إياد، فالجلاد (العساكر والمحققون) لهم وسائل أخرى.

وفي كل تغيير من محقق لمحقق آخر تختلف صورة التّعذيب داخل الزنزانة، وها هي ذي صورة أخرى يسردها إياد بقوله « شبحوني على السلم، وأوثقوا يدي ورجلي بحبال غليظة ، وشدوها بإحكام، حزت الحبال في الرسغين وفي الكاحلين وغاصت في الجلد ،ثم تعاون الأربعة على رع السلم على خازوق يخج من أعلى الجدار المقابل للباب ، كان رأسي إلى الأسفل وقدماي إلى

[3]–المصدر نفسه ، ص19.

الأعلى ، شد جسمي بثقله إلى الأسفل فغاصت حبال القدمين في اللحم عميقا ، سال منهما ما تبقى من الدم على فخذي وتابعت مجاري الدم على جسي نزولها حتى خالطت رأسي» [4]، كل هؤلاء الرجال ضد رجل واحد ضعيف غير مسلح، منهك القوى لا يحتمل تلك القوة المفرطة التي يمارسها عليه هؤلاء المدربون على هكا أفعال، فبشاعة التصوير تعبّر حقيقة عن كمية الألم التي شعر بها (إياد) في هذا التّصوير نستشفها في قوله(سال منها ما تبقى من الدّم..) وكأنّه أفرغ من الدم حتّى صار دمه في جسمه شحيحا يكاد يصير معدما منه، حقيقة الكاتب في هذه العبارات يقول ما لم يقله ما بين السّطور من وصف لآلات ووسائل التعذيب الذي تنفطر من القلوب من هول الموقف.

تضاعف العذاب في كلّ مرة وتغيرت صوره وهذه المرّة بدأ الجلاد « ينتف اللحية ، كان ينتف بأظافره الطويلة عشر شعرات، ثم يتبعها بلطمة على الوجه، ظل ما يقرب من ساعتين وهو ينتف لحيتي حتى شوه وجهي بالكامل ونزع بعض الدم من بعض منابت الشعر وظلت بعض الشعرات ناتئة في المنظر المذل، فأمر عساكره بالقداحة وصاح وهو يزيد : والله لحرقلك وجهك يا ابن الش..» [5]، تعذيب جسدي متمثل في نتف اللحية بالأظافر وحرقها وتعنيف لفظي باتهامه في شرفه، نلاحظ أنّ التعذيب يغير من صورته في كلّ مرة على طول مقاطع الرواية،

[4]–المصدر نفسه ، ص22–23.

[5]–المصدر نفسه ، ص27.

فاللحية تعبّر عن التزام الشخصية البطلة، والمحقق يحاول نزع مظاهر الالتزام بداية بالشكل قبل المضمون، ولهذا يحاول نزع لحيته مستخدما أبشع الطرق، وهي نتفها بأظافره، من أجل تعذيب الضحية، فهو يستطيع نزعها بموس الحلاقة، لكنّه يريد إيذاءه حتّى يحس بألم نفسي أكثر من ألمه الجسدي.

يشهد إياد على وأقصى درجات التّعذيب داخل الزنزانة، فيرى بأم عينيه كيف تكون مآل آخر درجة في التّعذيب، حيث يرى الجلاد وهو يدفع الخازوق في جسد أحدهم –الواقع تحت التعذيب مثله–« بكل ما يملك من قوة ، وارتفعت صرخة التقاط ملك الموت من فم السجين ، ودخل حازوق إلى الأحشاء وتهتك كل ما مر عليه من أنسجة وأربطة ، خار السجين وهو ينطفئ بسرعة ثم أسلم الذبيح روحه إلى بارئها»[6]، إنّه الموت المحتوم، آخر درجة في التعذيب؛ دفع بالخازوق لآخر ما يستطيع أن يصل فيه هذا الشيء حتّى يعلن أنّ ضحيته قد فارقت الحياة، ينتهك الأشلاء ويسلب الروح، لا أحد ينجو من هذا التّعذيب إنه موت لا محال، والحاصل أنّ مشاهدة أحدهم يعذّب هذا دليل على التعذيب النفسي الذي وقع فيه إيّاد من أحد المحققين الذي أراده شاهدا على موت أحدهم، كيف ينطق ويفصح عن ما بداخله، ويقول أسماء من كانوا معه في المسجد، أن تعذّب شيء وأن تشهد على موت أحدهم تحت آثار التعذيب شيء آخر، القسوة تملأ العساكر والمحققين الذين يريدون فرض القوة الجسدية والنفسية على إياد

[6]–المصدر نفسه ، ص47.

بشتّى الطرق والوسائل لا يهمهم كيف وبأي وسيلة المهم أن يستمروا في التعذيب حتّى ينهزم البطل(إياد).

2-دلالة القهر:

يراد بمصطلح القهر التّسلط والغلبة على الآخر، وفي هذا المصطلح استعمال لمحاولة تذليل الغير من خلال استخدام وسائل وطرق تحقق المراد منه، وفي رواية " يسمعون حسيسها" العديد من النماذج والمقاطع السردية التي تكرّس لهذا المصطلح، وتجعل من القوة المتجبرة المتمثلة في السطلة بكل هياكلها، خاصة -العساكر-يمارسون قهر الآخرين بعدّة وسائل، فقد تعرّض إياد للعديد من أشكال القهر والإذلال.

يقول« ماذا يعني الليل والنهار لسجين صارت كل خلية فيه مرتهنة للدولة، وهو لا يملك حتى أن يسحب هواء الزنزانة الخانق إلى صدره ..».[7]بعد التعذيب والتعنيف الجسدي يأتي دور القهر والاستسلام والإعياء اللذان يحس بهما إياد في قرارة نفسه، فقد أصبح جسد لا يقوى على كف واحد، والاستسلام باد على شكله ونفسيته، فهو غير قادر على الصمود في وجه هذا الرتل من أساليب التعذيب، نستشف دلالة القهر الحقيقة من المقطع السابق في عبارة (وهو لا يملك حتّى أن يسحب هواء الزنزانة الخانق إلى صدره) وهذا دليل واضح وقوي على القهر الحقيقي الذي أحس به فأدى شيء وأحوج شيء إليه وهو الهواء صار محرما بالنسبة له في تلك الزنزانة، فأي قهر هذا وأي ذلّ يحس به هذا السجين.

يواصل إياد في سرد آي الإذلال والقهر الذي عانى منه في الزنزانة وفي أوقات التحقيق؛ يقول « تباطأت قليلا في الإجابة، منيت نفسي بأن السؤال لا يقصدني .. هوت لطمة أقسى من

[7]المصدر نفسه ، ص17

سابقتها على رأسي من الخلف، صاح بي الذي لطمني...» .[8]، فالمحقق يمارس قهر السجين(إياد) بلطمه في حال تأخره قليلا عن الإجابة، فالبطل في هذه الرواية يحسّ حقيقة بأنّه ذليل مقهور لا يقوى على ردّ تلك اللّطمة ولا يقوى على التأخر في الردّ، وكأنّه يعلن أن أبسط شيء وهو عدم الردّ لا يقوى على فعله، فما بالك بالصمود ورد اللطف، فتلك أفعال أصبحت أمرا مستحيلا أن تحصل له.فهو يعيش في دائرة القهر بشتى صوره، وأي تأخر أو تلكؤ في الرّد مصيره تكريس الإذلال أكثر من وقت فات.

وحتى تصل بالإنسان تمني الموت على الحياة دقيقة واحدة هنا فيه دلالة قاطعة وحقيقة بائنة على قمة القهر الذي يحسّه إياد؛ يقول في متن الرواية « تخليت في الجلدة المئتين ربما عن سحب الهواء إلى الداخل أريد أن استسلم، لا أريد مزيدا من الحياة ، بدا الموت في هذه اللحظة أمنية عزيزة المنال ، تمنيت أن يخلصني من هؤلاء الوحوش، تركت أنفاسي تتدحرج على حافة المواسير والكيبلات وقلت للموت أهلا وسهلا ومرحبا ...»[9]، التصوير في هذا المشهد الروائي غني عن كلّ تحليل ووصف، فهو يشرح نفسه بنفسه، أن يصل بالبطل موصلا كهذا من ناحية تمني الموت والانقطاع عن الحياة هو في حقيقته قمة القهر والإذلال يحسّه إياد ولا يقوى على الحياة، فالحياة في نظره بدايتها الصمود واستنشاق الأنفاس، لكن هذه الأخيرة ولا يستطيع فعلها،

[8]المصدر نفسه ، ص18

[9]المصدر نفسه ، 21

فقد خارت قواه وتمكن القهر منه في شتّى المجالات والأفعال حتّى كأنّه يخبر بأنّ التنفس الذي هو حق لكل أحد في هذه المعمورة أصبح محرما عليه لا يقوى على أخذ حقّه.

شخصية إياد من خلال ما مرّ به من آي التعذيب والتنكيل أصبح يحس بأنّه مفرغ من أبسط حقوقه وهو طلب التداوي؛ فقد أصبح يداوي نفسه بنفسه لأنّ الآخر صار يتمناه ميت يذلّه ويحاول قهره بتركه بدمائه وجراحه المكلومة؛ يقول « نزعت الشريط الأبيض على طرف البطانية بأسناني، وصنعت منه عدة ضمادات، بللتها بماء الكوز، ورحت أعالج جروحي وحروقي كان الجرح الأصعب جرح الرصاصة ، أزلت عن فخذي الضمادة التي اشتبك فيها اللّون الأحمر بالأصفر ، وأعدت نقب الجرح وإنا أشد على أسناني من الوجع ، ويتقاطر العرق من جبهتي حارا على ذقني مع كل نقبة ، تمنيت أن يكون لدي سكين حديد آو سيخ من الحديد لأخرج به الرصاصة »[10].

من قوة القهر والاستسلام، صار الطبيب(إياد) يداوي جراحه بنفسه، لأنّ الجلاد لا يهتم له، لا يهتم بحياته ووجوده، فهو في نظره شخص معدم لا قيمة لحياته، وكأنه نكرة أمامه، وهذه قمة القهر أن لا يراك الآخر ولا يحس بكينونتك الغير.

[10] المصدر نفسه ، ص25-26

ثم إنّ من يريد قهر إنسان آخر تجده يبتسم لألم الآخر ويفرح بصراخه وآهاته، وهذا ما نجده في هذا المقطع السردي: « ويبدو أن صراخي كان يصيبه بالنشوة ، التي لم تبلغ ذروتها ورحت أصرخ وهو يبتسم ويفتر فمه عن أنياب صفراء، ويبدو أن صراخي كان يصيبه بالنشوة ، التي لم تبلغ ذروتها لا بعد أن فاحت رائحة الشواط جراء حرق للشعرات ومع كل صرخة كان يهمهم بضجة ليقطعها انتظارا لصرخة أخرى مماثلة مني ..» [11]، ينتشي المحقق وهو يسمع صراخ إياد وآهاته وآلامه، وكأنه يتغذى على هذا الشعور، شعور يماثل الإحساس بالسادية، التي ترى في ألم الفريسة لذة وغذاءً، فالمحقق في هذا المقطع لكرّس الإذلال والقهر النفسي نحو البطل، يحاول سماع صراخه، وكأنه سينفونية موسيقية أو عرض مسرحي يستمتع به المشاهد، لكن المشهد هنا مشهد الجلاد والضحية بين المحقق وشخصية (إياد) الطبيب.

ثم يظهر لنا آخر حلقات القهر والإذلال التي تكمن في منع الماء إن لم نقل ندرته «كانت رشفة الماء في تلك اللّحظة تعادل عمرا بأكمله كنت مستعدا للتضحية بكل شيء في سبيل الحصول عليها»[12]، انعدام أدنى متطلبات الحياة وهو الماء يعدّ قمة القهر والذل التي يعيشها السجين في زنزانة الاستعباد تحت رحمة الجلادين من العساكر والمحققين، وهذا ما عاشه إياد في تلك الفترة من عمره، فترة ممزوجة بالتعذيب والقهر النفسي والاستسلام للموت وعدم الصمود من أجل

[11] المصدر نفسه ، ص27

[12] المصدر نفسه ، ص28

الحياة.وحتّى يصبح الإنسان يطلب الماء ولا يحصل له هنا نستدل على أنّ العسكريين أرادوا موت إياد ببطئ من خلال تعطيشه وإذلاله من اجل الحصول على رشفة واحدة.

3-دلالة المقاومة :

مصطلح المقاومة مصطلح يدلّ على التّحدي والعناد والاستمرار والاصرار على الشيء مع التحلي بالعزيمة والرغبة في الوصول إلى نقطة معينة، وهذا ما نلمسه في مقاطع سردية من رواية "يسمعون حسيسها"، فهذا مقطع من المقاطع يكرّس روح الصمود والعناد التي يتحلّى بها إياد منذ صغره، فالصمود أمام لعبة يجلنا نستشف شخصية مقاومة قوية لا تستسلم بسهولة، بل هي شخصية تصلح أن تكون شخصية مقاومة بطلة؛ يقول إياد عن نفسه « كنت عنيدا ؟ نعم كنت أحاول أن أثبت قدرتي على التحمل أمام نفسي ؟ بلى بدأت استمتع باللعبة ، صرت أحاول أن ابتلع كرة الألم النحاسية عند الضربة الأولى»[13].

يريد الكاتب الروائي **"أيمن العتوم"** من خلال هذا الاسترجاع أنّ شخصية **" إياد"** منذ الصغر وهي شخصية مقاومة صامدة في وجه الألم والتحديات وليس شخصية من أول وهلة شخصية انهزامية، ولعل الدافع في ذلك أن الروائي يريد أن يعطينا بعض الدلالات على أن شخصية **'"إياد"** لو كانت شخصية أخرى قد تعرضت لبعض من تلك الصور التعذيبية والقهر

[13]المصدر نفسه ، ص22

والإذلال لاستسلمت من أول وهلة، لكنها شخصية بطلة مقاومة مكافحة ترغب في التّحدي وتبحث عنه في كل المجالات.

ومن صور المقاومة ما سرده في بعض المشاهد التي صورها في قاعة التحقيق؛ يقول إياد :« بدأت أتماثل للثبات أكثر مما مضى، وبدأ هو يفقد أعصابه وبدأت أولى هزائمه انقض علي كثور هائج كان يخور وهو يسب ويقذف» [14]، فلفظة (ثبات) فيها دلالة صريحة على قوة المقاومة والصمود، فالإنسان الثابت في مواقفه بطبيعة الحال إنسان مقاوم لا يزحزحه أي شيء كالجبل الأشم مهما عصفت به لا ينزاح من مكانه، وهكذا هي شخصية **"إياد"**المقاومة.

يقول إياد « بدأ جسمي يتعافى، ظلت صلاة الرئيس المسخرة ترن في بالي، ضحكت يومها من كلام العسكري ملء شدقي، مر زمن طويل لم تنفرج فيه أساريري مثلما انفرجت في ذلك اليوم»[15]، فالضحك والسخرية دليل على قوة الموقف والثبات والمقاومة رغم التخويف والتعذيب، وهذا ما نراه في شخصية إياد كونها شخصية مناضلة ترى في بطش العساكر وتعذيبهم له تصير من إصراره على موقفه، ومقاومته لهم.

بعد صنوف التعذيب والإذلال والقهر، اكتسب إياد شخصية مقاومة تستطيع المراوغة مع الخصم(الجلاد)؛« وأقبلت على المهمة التي يجب أن أقوم بها هنا قبل أن يرحلوني من جديد

[14] المصدر نفسه ، ص30.

[15] المصدر نفسه ، ص41.

كنت قد عزمت على أن اعلم الجدد طرق المناورة والمراوغة مع المحقق وطرق الصبر على التعذيب » .[16]فقد أصبح بارعا في مراوغة المحققين،والتقليل من شأنهم، وهذا لا يجيده إلى شخص في قمة المقاومة والصمود يفكر بضمير هانئ وصبر طويل ونفس قوية .

ونجد في بعض المقاطع السردية داخ المتن الروائي جوهر روح المقاومة التي يتحلى بها إياد؛ يقول: « لا تنهزم نفسيا في أي مرحلة تذكر إنك الأقوى لأن قضيتك عادلة، ولأن الظلم لا يدوم»[17]، إذن فالجوهر والركيزة في مقاومته إيمانه الجازم واعتقاده الذي لا شك فيه أنه في موقع الحق وأنه مادام يؤمن بأنّ القضية التي يتبناها عادلة فلا مجال للشك والترنح والعودة للوراء، بل هو مبدأ ثابت ووحيد المقاومة والثبات على الرأي بدون مقابل وبدون مماطلة وبدون مساومة على قيمة القضية.

« فرحت اهرب من الموت بطلبه، ورحت أفر منه بمواجهته شددت على جذعي ما استطعت ودفعت الدولاب بيدي مع ضغطي برجلي فطار الدولاب وسقط في رأس احد الزبانية ولبسه إلى منتصفه وهجمت على المصارع أريد الانتقام منه»[18].

4-دلالة المنفى والاغتراب:

[16]المصدر نفسه ، ص 59

[17]المصدر نفسه ، ص60

[18]المصدر نفسه ،77

المقصود بالمنفى والاغتراب هو الابتعاد والهجر والغربة عن الديار والأهل والأقارب، وكل من له شأن في حياتنا،وهذا هو شأن إياد وهو يتذكر أهله؛ « قفز على ذهني أهلي هل هناك من اخبرهم بما أنا فيه من العذاب ؟ هل عرفوا أنني اعتقلت ؟ وزوجتي الحامل هل تقلبت سبب غيابي كل هذا الوقت»[19].

يفكر إياد في أهله وزوجته وعياله، فهو في حالة تفقد لهم وفي حيرة عليهم، حتى وهو في هذا الموقف إلا أن روح المسؤولية لا تفارقه، رغم الأهل والقهر والجوع والعطش إلا أنّه يحس بروح المسؤولية، وفي هذا التذكر دلالة على الحنين إلى الأهل والإحساس بروح الاغتراب عن هذا المكان، وهذه الطبيعة البشرية التي يخالطها، عساكر همج ومحققون مصرون على إدانته، على عكسه إنسان متحضر متخرج من كلية الطب يمارس مهنته في مستشفى يحاول إحياء الناس ودوائهم، على عكسهم يحاولون إماتة الناس وقتلهم.

ونجد الكاتب في مقطع آخر من متن الرواية يعبّر عن الغربة وإحساس النفي والإبعاد بلسان إياد « نحن الآن في الثلث الثاني من تموز عام 1980، ولا بد أن أبقى في هذه الحرارة المرتفعة، وهذه الزنزانة القبر، الضاغطة علي من كل جهة ، لابد أن ابقي على ما يبقى على

[19] المصدر نفسه ، 21.

الروح داخل أسوار الجسد» [20]، فكلمة (القبر)فيها دلالة على النفي والإبعاد كما ينفى الميت من الحياة، وحياته مع أهله وزوجته وعياله لا مع هؤلاء الهمج.

ويقول في مقطع آخر: « ميزت في البداية اثنين من العساكر يقفون برشاشتهم خارج الغرفة ، رأيتهم من خلال الزجاج ، وثالث في الداخل عند الباب للطوارئ ، تحسست رأسي بيدي الحرة ، فلمست الشاش يغطيها من الأعلى بالكامل» [21]، نستشف من خلال هذا المقطع روح إياد المنفية المغتربة في زنزانة لا يعلم أين يقع هذا المعتقل،فعبارة(بيدي الحرة) فهو الشيء الباقي حر عنده أما أغلب جسده فهو غير حر لا يطاوعه في أغلبية الأعمال بسبب التعذيب، وعدد العساكر الذين يحرسون زنزانته في كل الاتجاهات دلالة قوية وواضحة على غربته ونفيه وإبعاده، فو متأكد من كونه لا يتسطيع العودة إلى حضن أسرته وعياله مع كم العساكرين الذين يراقبون الزنزانات.

يفتقد إياد أسرته، فيقول « أبي وأمي وزوجتي لم يصلهم خبر واحد عن مكان اعتقالي .. ولم يعرفوا إن كنت على قيد الحياة أم فارقتها .. بعض الأحياء في قريتنا دوهمت وحدت فيها اشتباك وسقط جرحي، وسالت دماء واستفاق الأهل على عهد جديد لم يألفوه» [22].يشعر البطل

[20] المصدر نفسه ، ص33.

[21] المصدر نفسه ، ص37.

[22] المصدر نفسه ، ص62.

(إياد) بإحساس النفي والاغتراب عن وطنه وأهله وزوجته وأولاده، فهو مبعد قاصر على لقائهم، ففي عبارة (لم يصلهم خبر اعتقالي) دلالة على أدنى سبل الوصل وهو وصول الخبر عنه، لكي يزيل تلك الحيرة التي تراودهم عن مصيره، فهو في بلده قاصر عن إبلاغ والديه وزوجته عن مكانه، فأي غربة هذه وأي منفى هذا حتّى عن الخبر ولا يستطيع إيصاله.

5-دلالات الشوق والحنين :

الشوق والحنين من المصطلحات الجمالية التي تدل على التفاؤل والإيجابية في روح الشخص،وهذا إياد يصرّح بالشوق والحنين في الرواية قائلا: « تمنيت لو أن الفراشات التي ملأت وجهي ذات الصباح الربيعي البهي في البلدة أن تأتي لتملأ بياض عظامي، قالت لي العصافير أن الفراشات حولت أن تأتي، ولكن الجلادين أوقفوها على باب السجن وحظروا عليها الدخول»[23].

نرى في هذا الاقتباس من رواية **" يسمعون حسيسها"** حنين شخصية إياد إلى الزمن الماضي وتذكر سهولة الحياة وبساطتها والحب منتشر بين الجميع في منظر أشبه بالمثالية، ثم يرى بأن العساكر أوقفوها عند باب المعتقل، فهو يصرّح بحنينه وشوقه لأيام المواطن البسيط الذي يشتغل في المستشفى ويجتهد في مداواة الناس وتطبيبهم، ومحاولة مساعدتهم بشتّى الطرق

[23]المصدر نفسه ، ص24

والوسائل، أما الآن فيرى في نفسه شخصا معدما من كل شيء، لا يقوى على مداواة نفسه جراء آثار التعذيب المدمرة التي جعلت منه جثة هامدة بلا روح.

يحن بطل الرواية إلى كل شيء جميل، ولا شيء أجمل من الوالدين خاصة الأم، فها هو يتذكر أمّه؛ يقول عنها « أما أمي فلا زالت دعواتها تلفني بضباب شفيف من الطمأنينة .. إذا كانت أمي قادرة فيما مضى على حماتي من أبي ، فلابد أنها اليوم قادرة على حمايتي من الأب الأكبر من السلطة التي تعد نفسها أبا لكل الناس»[24].كاتب الرواية هنا في هذا المقطع من الرواية يضيء زوايا مبهمة ومعتمة كانت قابعة في ذاكرته، فهو يرى في أمّه الملجأ الآمن من كل شيء فأمه التي ولدته وربّته حمت دائما من بطش أبيه، وهو يطلب العون من أمّه الكبرى أن تحميه من بطش السلطة(يقصد الوطن وشعبه)، فهو يدعو ضمنيا إلى الثورة على النظام السلطوي السائد وتغييره بنظام آخر أكثر عدلا وأقل جورا.

يريد الراوي الراوي المتمثل في شخصية (إياد) أن يعود إلى أهله وزوجته وهذا ما وجدناه في الرواية؛ « أنا أريد أن أعود إلى أهلي وزوجتي، أريد أن أعيش مواطنا عاديا أقتات من عملي

[24]–المصدر نفسه ، ص24.

في مهنة شريفة هذه المهنة التي بذل لها والدي الفقير كل ما يملك حتى يقال: ابنه صارا حكيما ».[25]

بعد هذا البطش والتعذيب لا يرى إياد في نفسه شخصا طموحا مثابرا بل أصبح يرى في نفسه ويمنيها أن يعود مواطنا بسيطا عاديا وسط عائلته وزوجته وأولاده، فقد ذاق ويلات التعذيب حتّى صار يحن إلى الحياة العادية، التي كان في بعض الأحيان يتذمر منها، فها هو الآن أصبح يحن لها ويبحث عنها، بعيد عن الخازوق وضرب العساكر وشتيمة المحققين وقهرهم له بشتّى الطرق.

تتكرر مشاهد حنين الكاتب إلى أمه وزوجته وابنته الصغيرة؛ وهذا من قول الكاتب بلسان إياد « ونمت بين قسوة الأوجاع وبين ذكريات الأهل والزوجة وطيوف ابنتي التي أطفأت شمعتها الأولى قبل اعتقالي بأسبوع ثم هاهم يطفئون جسدي ويحرقون قلب في ابتعادي القسري عنها ، تذككرت ضحكتها التي يرقص لها الفؤاد وتهاديها في الممر الطويل تحاول المشي وهي تتعثر كلما خطت خطوتين وتسقط في الثالثة ، كنت اسقط حين تسقط أنهض حين تنهض تداعب بسمتها صفحة مشاعري فتخضر »[26].

[25]–المصدر نفسه ، ص33.

[26]المصدر نفسه ، ص 51

في هذا المقطع يصرح إياد علنيا على نفيه وإبعاده عن عائلته وأهله، فهو يحن إلى جمعة الأهل والزوجة والطفلة، خاصة هذه الأخيرة التي راح يسرد واصفا كيفية رقصها وأولى خطواتها في المشي، وكيفية لعبه معها، فإياد شديد الحنين والشوق إلى تلك الأيام وإلى تلك اللّمة التي حرمه منها الجلاد وعساكره.

يأخذ إياه داخل المتن الروائي في تذكر الأماكن والمدن، وها هو في هذه المرة يتذكر دمشق، قائلا « فرأيت دمشق ببهائها الطّاغي تتمدد على الأرض مثل حورية ساحرة وتنبسط مثل كوم العنب الناضجة، عشقت دمشق يومها من كل قلبي ، أحببتها مثل فاتنة تحل في سويداء القلب، وأنثى تستبد بمأخوذ القلب والفؤاد مثلي»[27]، هذا التذكر وهذا الشوق إلى رؤية دمشق وبهائها يدعونا إلى القول بأنّ إياد يرغب وبشدة في الحرية والابتعاد عن دائرة النفي والاغتراب، دليل على حنينه لحياته المدنية حيث يملك حرية مطلقة في الذهاب إلى أي مكان والتحرك في أي اتجاه، وفي ذكر دمشق بالتحديد دلالة واضحة على شوقه العميق إلى زيارتها بعدما أصبحت محرمة عليه وعلى أمثاله ممن نعتوا بالإرهابيين والمارقين ومن جماعة الإخوان والمخربيين، فدمشق هي عاصمة السلطة التي أبت أن تتنازل عنها لغيرها، وتشبثت بها، وأصبح دخوله هو أمثاله أمرا صعبا إن لم نقل غاية في الاستحالة.

[27] المصدر نفسه ، ص53

من شدة ألم التعذييب راح بطل الرواية يهذي بذكريات ويتخيل أناس يحبّهم ويحب الحديث إليهم، فهذه لمياء يخبر عنه فيقول: « في الغيبوبة تراءت لي لمياء تمسح الدم والعرق عن وجهي، ابتردت النار التي تلفح وجهي نهضت كما لو كنت في رقدة خفيفة حملتها بين يدي خاطبتها:

لقد كبرت يا شقية

أصبح عمرك ثلاث سنوات

ردت بضحكة ساحرة

واستمت في النقر بإصبعها على أنفي»[28].

فنراه في قمّة تعذيبه وألمه وصراخه يهذي بأحب الناس إلى قلبه، لمياء فيتكلم معها في منامه يحاول اللعب معها علّه يسلو بها عن وجعه،يتحدث معها ضاحكا من شدة الوجع أصبع الأمر الطبيعي يقذف في نفسه الضحك والتبسم.

خلاصة القول أنّ في هذا الفصل حاولنا جاهدين تتبع أغلبية الدلالات الموجودة في السجن، من تعذيب ونفي وقهر وحنين، داخل متن رواية "يسمعون حسيسها" فوجدنا كمّا من المقاطع السردية التي توثق هذه الدلالات، بل أحيانا تفصّل في وصف المشاعر تفصيلا دقيقا، ونجد في

[28] المصدر نفسه ، ص78.

هذا نفسية بطل الرواية **"إياد"** تتقبل بين هذه الدلالات على أساس أنها ترتفع تارة وتنزل تارات أخرى.

خـــــاتـــمة

عندما شارف هذا البحث نهايته، أمكننا من رصد خلاصة من النتائج والملاحظات، ولا ندعي أن تكون نتائج نهائية، غير قابلة للتّعديل أو الزيادة، إذ العمل في مجال البحث العلمي لا يقف عند غاية أو سقف محدد، إذ يرتكز على اختلاف مناهج التحليل والتأويل، ومن ثمة فهو يبقى باب الاجتهاد مفتوحا، وتماشيا مع ذلك يمكننا الإشارة إلى أبرز ما توصلنا إليه في هذه الدّراسة، وصوغه في النّقاط الآتية:

- فالسجن من الناحية اللّغوية يأتي بمعنى الحبس والفعل مقصوده لزوم المكان، مع تقييد في الحركة والتنقل. ما نلاحظ اتفاق معظم التعاريف المعجمية في ماهية لفظة السجن والذي يقر أنه الفضاء الجغرافي (المكان) الذي تتقيد فيه حرية الإنسان ويسلب منه التحرك بكل عفوية في كل مكان ودون قيود وضوابط ، فيصبح مقيدا بين جدران زنزانته.
- مهما اختلفت المفاهيم في تعريف السجن فإنها كلها تدور حول تعويق الشخص ومنعه من أداء واجباته في شتى المجالات، ومهما تعددت آراء.
- يعدّ أدب السجون نوعا من أنواع الأدب يقوم بعملية وصف الأدب المكتوب من قبل كاتب قابع في مكان ضدّ إرابته ويقيّد من حريته كالسجن أو الإقامة الجبرية، ويمكن أن تكون الكتابة أو الإنتاج الأدبي يصف السجن والفترة التي يعيشها المؤلف داخل الزنزانة والسجن، أو يقارن بين حالته السابقة والحالية داخل السجن.
- إنّ أدب السجون في الروايات والأعمال الأدبية العربية حاضر وبقوة وهذا عائد إلى الحالة الاجتماعية المتدنية والقمع السياسي وإسكات الآخر بالنسبة للسلطة، لنجد أنّ هذا الكم من العواطف يعدّ وقودا لكتابة ناضجة تعتمد على عدّة تقنيات وفنيات جمالية داخل المتون الروائية بشكل خاص.

- الشخصية الرئيسية في رواية "يسمعون حسيسها" هي شخصية إياد، وتحكي الرواية قصته منذ الطفولة إلى فترة الاعتقال والتعذيب بعدما أصبح طبيبا يزاول مهنة الطفل في مشفى عام.
- من بين الشخصيات الثانوية الموظفة في الرواية شخصية أب إياد والمحققين والعساكر في السجن. حيث ساعدت هذه الشخصيات على تقديم الشخصية الرئيسية بشكل واضح والدفع بعجلة الأحداث إلى الدينامية والتفاعل على مستوى مدار السرد الحكائي في الرواية.
- لعب الكاتب **"أيمن العتوم"** على وتر المفارقات الزّمانية وذلك من خلال العودة إلى الأحداث الماضية والذكريات أثناء مكوثه في السّجن، كما وظف الاستباق من أجل لمسة أمل على واقع البطل الذي يكابد الوجع والتعذيب داخل الزنزانة.
- وظفّ الشّاعر بقوة الأماكن المغلقة وهو ما يتناسب فعليا مع هدف الرواية في طرح واقع الفرد المثقف ومواجهاته مع النظام الحاكم، في المقابل كان توظيف الأماكن المغلقة شحيحا وهذا عائد إلى الحرية المكبوتة التي يعيشها الفرد العربي. فكما قيّدت الأماكن قيّدت الحريات.
- نجد في الرواية عدّة دلالات داخل الرواية والتي كان السّجن سببا لها، منها دلالة التعذيب والقهر والمقاومة والحنين إلى الدّيار والأهل.
- رواية **"يسمعون حسيسها"** رواية تنتمي حرفيا إلى أدب السجون، فهي تناقش بالضبط قضية الاعتقال والقهر والتظلم على الشّعب خاصة المواطن المثقف الذي يشكل تهديدا فعليا على أركان نظام الحكم العربي.

قائـــمة

المصادر

والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر

- أيمن عتوم ، يسمعون حسيسها، معايشات سجين تدمري 1980-1997، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2013.

ثانيا: والمراجع:

أ-الكتب باللغة العربية:

1) إبراهيم السعافين، تحولات السرد، دراسة في الرواية العربية، دار الشرق للنشر، عمان، ط1.
2) أحمد الناوي بدري، خصائص الكتابة الروائية، دار حوار للنشر والتوزيع، ط1.
3) أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد كتاب العرب، د.ط، 1979.
4) أوريدة عبود، المكان في القصة الجزائرية الثورية -دراسة بنيوية لنفوس ثائرة،ط1، دار أمل للطباعة و النشر ، الجزائر،د-ت.
5) تيسير محمد الزيادات ، الأدب العربي لغير الناطقين بالعربية دار المنهل، الأردن، ج1، ص 14.
6) جميل ، السلحوت مدينة الوديان، دار الجندي، المنيل 2014.
7) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط 1 ، 2007.
8) حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، د.ط.

9) حمادة حمزة،ثنائية السجن والغربة في ديوان حصاد السجن لأحمد سحنون، مجلة حوليات الآداب واللغات جامعة مسيلة 15/9/2020 مجلد 5، العدد 12.

10) خليل رزق، تحولات الحبكة مقدمة لدراسة الرواية العربية، مؤسسة الإشراف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

11) رأفت خليل حمدونة، تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، 2017.

12) سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

13) سمر روحي الفيصل، الرواية العربية، البناء و الرؤيا، اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط، 2003.

14) شرين محمد حسن سليمان، دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة القدس فلسطين 2018.

15) شعبان يوسف أدب السجون الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2014.

16) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، تر:باسم صالح، دار الغرب للنشر و التوزيع، د–ط، د– ت.

17) عبد الوهاب مصطفى ظاهر، عمارة السجون في الإسلام الأبحاث التمهيدية كلية الأوزاعي للدراسات الإسلامية إشراف محمد الحسن ،بيروت، لبنان 2014.

18) نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين أحمد علي باكثير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية وفنية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط5 ،2007.

19) نائل إسماعيل رمضان، أحكام الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي دراسة فقهية مقارنة مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ،بيروت، لبنان، ط1،2012.

الكتب المترجمة:

1) جيرار جينات خطاب الحكاية بحث في المنهج تر محمد معتصم عبد الجليل منشورات الاختلاف الجزائر ، ط3، 2003. جيرار جينات، نظرية السرد من وجهة النظر والتبئير، تر: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي، ط1، 1989

2) جيرالد برانس، قاموس السرديات، تر السيد أمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003

المعاجم:

1) إبراهيم مصطفى وآخرون"، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، تركيا، (دط)، (دت).

2) -أبو الحسن أحمد ابن فارس ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مادة (شخص)، ج3 ،دار الفكر للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط2 ،1979 .

3) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، ج12 ،2003م .

4) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 4 ،2004،

المذكرات:

1) بوسعيد حليمة، حرر الوطن في الشعر محمد درويش "نموذجا" مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب حديث تحت إشراف الأستاذة حسناء ، جامعة العربي أم البواقي ، 2014-2015.

2) عائشة لعرابي، صورة المعتقل في الأدب الفلسطيني دراسة نفسية رسالة من المعتقل سميح القاسم أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، أدب حديث، جامعة محمد بوضياف المسيلة 2015-2016.

3) فاطمة نصير، المثقفون والصراع الايدولوجيا، في رواية أصابعنا التي تحترق لسهيل إدريس، مذكرة الماجستير، مخطوط تخصص نقد أدبي، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2007.

الفهرس

الفهرس

شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ-ج
المدخل	
1-مفهوم السجن.	05
2-أدب السجون.	09
3-حضور السجن في الرواية العربية	12
الفصـل الأول: البناء السّردي وعلاقته بالمكان	
1-الشخصيات وعلاقتها بالسّجن	17
2-المفارقات الزّمانية.	26
3-سلطة المكان.	30
الفصل الثاني	
الفصـل الثانـي: دلالات السّجن	
1 – دلالات التّعذيب	41
2-دلالات القهر	46
3-دلالات المقاومة	50
4-دلالات المنفى	53
5-دلالات الشوق والحنين	55
الخاتمة	62
قائمة المصادر والمراجع	66
الفهرس	

مـلـخص الـدّراسة :

يسعى هذا العمل البحثي إلى الكشف عن تجلي حضور السّجن في الرّواية العربية، متخذين من دراسة البنية السّردية للرواية كمطية من أجل تعرية دلالات هذا الحضور على طول رواية **"يسمعون حسيسها"** للروائي الأردني أيمن العُتوم، آخذين بعين الاعتبار إيضاح مصطلح السجن وعلاقته بالأدب والرواية، كما قمنا في آخر هذا العمل باستنباط بعض الدّلالات الخاصة بحضور فضاء السجن في هذه الرّواية، وعلاقة تلك الدّلالات بالعناصر السّردية الأخرى.

Study summary:

This research work seeks to reveal the manifestation of prison attendance in Arabic narrative From studying the narrative structure of the novel as a periphery in order to erase the connotations of this presence along the "Hear Its Sense" novel of Yemen, Taking into account the clarification of the term prison and its relationship to literature and fiction, at the end of this work we have developed some indications of the presence of the prison space in this narrative, and their relationship to other narrative elements.

.